اغتيالُ قلمٍ مقاوم

(تخلصنا من لواء فكرى مسلح، لقد كان خطرًا على إسرائيل أكثر من مائة فدائى). هكذا عبرت رئيسة وزراء الكيان الإسرائيلى جولدا مائير عام 1972عن فرحتها لاغتيال الأديب المقاوم غسان كنفانى بواسطة زرع عبوة ناسفة فى سيارته فى ضاحية الحازمية قرب بيروت.

كان كنفانى، الذى يبقى فى الذكرى الخمسين لاستشهاده، رمزًا من رموز المقاومة بالفكر والثقافة. وتظلُ سيرته شاهدةً على دور القلم المقاوم الذى يلتزمُ صاحبه بقضايا يؤمنُ بها ويدافعُ عنها، ويتحلى بالشجاعة والإقدام فى مناصرتها0 فهذا هو السبيلُ إلى تكوين الوعى أو المحافظة عليه، بما يضمنُ استمرار الالتزام بالدفاع عن الحق حين يكون مسلوبًا عبر أجيالٍ من المقاومين كلُ بطريقته. وهذا يفسرُ أن مثقفين وأدباء فلسطينيين كانوا فى صدارة قوائم الاغتيال التى وضعها الموساد فى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، عندما كانت العبواتُ والطرودُ الناسفة الوسيلة الأساسية للقتل غدرًا.

ألهمت كتاباتُ غسان كنفانى آلاف الشباب الفلسطينى فى حياته القصيرة التى لم تتجاوز 36 عامًا نشر خلالها ما يقرب من 20 كتابًا، وكتب مئات المقالات0 ومن أكثر كتبه شهرة

(أرض البرتقال الحزين)، و(رجال فى الشمس)، و(عائد إلى حيفا)، و(عن الرجال والبنادق)، و(ماتبقى لكم). لم تكن هذه، وغيرها، روايات بالمعنى الدقيق بخلاف ما يذهبُ إليه كُثُر. فهى أعمالُ سرديةُ مكتوبةُ بلغةٍ جميلةٍ شاعرية. وكثيرُ منها توثيقى. فقد اهتم بتوثيق محطاتٍ أساسية من رحلته فى الحياة والنضال بطريقةٍ مبدعة، مثل رحلته طفلاً مع المهجرين من حيفا، وتجربة عمله صحفيًا فى الكويت وحياة الفلسطينيين فيها، مثلما عُنى بالتعريف بما حدث لشعبه وبلورة معالم قضيته. ولهذا أتاح استلهامُ بعضها فى أعمالٍ درامية معرفةً واسعةً بهذه القضية، وبه شخصيًا إذ كان شقيقُه مروان الذى حرس مرمى النادى الأهلى فى الستينيات أكثر شهرةً منه فى مصر على الأقل. كما كتب قصصًا للأطفال لترسيخ القضية فى وجدانهم.

ولم يكن هذا القلمُ المقاوم بعيدًا عن الواقع النضالى، بل حضر فى قلبه من موقعه القيادى فى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ورئاسته تحرير مجلتها "الهدف" التى كانت ومازالت منبرًا لقضايا التحرر والحرية